

بسم الله الرحمن الرحيم

أحضان الخليج الدافئة وعلاقة أبنائه

لابد للحديث عن الروابط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الكويت وأقليم الاهواز ابان حكم الشيوخ من معرفة الموقع الجغرافي لكل منهما ، ونبدأ بالكويت لأن الحديث عنها لا يطول لاعتبارين.
الأول : وضعها المتميز من حيث سهوله الاحاطة بتاريخها لوجود مادته الميسرة في المصادر المختصة وامكان الوصول اليها وحضور المادة المطلوبة للبحث الي حد الاشباع .
الثاني : هوية المقال نفسه لانه اساساً موضوع أولاً وبالذات اقليم الاهواز و يأتي الحديث عن الكويت في المسائل الثانوية ولا أقول الهامشية لأنه يشكل ركناً مهماً من اركان البحث الا انه ليس مقصوداً لذاته .

موقع الكويت الجغرافي وحدودها :

لا يعيننا من تاريخ الكويت الا الفترة من عام 1812 ميلادي الي عام 1925 حيث انتهت في هذا العام اماره آل مرداو و زال حكمهم من البلاد ، لأن المنطقة في ذلك العهد كانت تتمتع بشئ من الاختيار .حين كان يحكمها من آل مرداو الذين خلفوا القبيلة التي لها السيادة في البلاد وهم الكعبيون ،ويتركز اهتمامنا في هذه الدراسة علي الفتره التي حكم فيها مبارك الكبير الكويت وهو سابع حكامها الي محي الشيخ عبدالله السالم الصباح الي الكويت .
وتمتاز هذه الفتره بالنسبة له وللكويت بالحراجه الشديدة وحيث تعتبر قمة نشاط الاستعمار الاوروي في الخليج والعالم بشكل رهيب ،وقد حاول فرض سيطرته علي العالم كله فبرزت زعامة مبارك الكبير في هذا الجو المسحوب بالتوتر بين الدول الاستعمارية نفسها وبينها وبين العالم المستعمر- بفتح الميم - و يمكن تحديد هذه الفتره بمطلع القرن العشرين حيث بلغ "مبارك الكبير هذا الغاية من وضوح الرؤية حيث استشف من وراء الغيب ما سوف يأول اليه أمر بريطانيا العظمي من فرض السيطرة علي العالم والهيمنة علي جلّ مرافقة الحيوية ، كما اتضحت لديه جغرافيتها بشأن الامبراطورية التي تنوي تأسيسها من خلال سياسة التوسع الاستعماري التي انتهجتها يومذاك . فهي امبراطورية لا تغيب عنها الشمس كما كانت تدعي . من ثم سارع الي عقد اتفاقية التعاون والصداقة مع الحكومة البريطانية عام 1899 ، وهذه الاتفاقية مضافاً الي ماشكله لامارته الناشئة من حمايه أمنية خارجية ،فقد ارسى علي ضوئها سياسته ومن يأتي بعده في الداخل والخارج .فهي الحفاظ علي مجتمع الفرض المتكافئة و صيانة الحدود المعترف بها من ان يضاف اليها او ينقص منها، و لازالت هذه السياسة معمولاً بها بخاصة بعد أن دارت هذه الحدود علي بحيرات نفطية هائلة أغنت عن التماس مرافق أخرى للثروة . فما أثرها عن الكويت يوماً من أن تهدد جيرانها او تشكل خطراً علي حدودهم وان لم تصنها هذه السياسة من ان تكون ضحية ذات يوم .و لكن هذه السياسة اتت ثمارها في جلب الأمن داخلياً وخارجياً للكويت في الاوضاع الطبيعة للعالم مما ساعد علي ازدهار تجارتها بشكل ملحوظ وبناء أصطول تجاري يجوب البحار طوياً وعرضاً .

هذا و لموقع الكويت علي ساحل الخليج ساعد علي هذه الريادة البحرية الممتازة فهو مهم للغاية.
تقع الكويت في اقصي الخليج العربي وفي زاويته الشمالية الغربية بين دائرتي العرض 28 و30 شمالاً و خطي الطول 46 و48 شرقاً وتكون الكويت بهذا الموقع علي شكل مثلث .ضلعه الشمالي يحده العراق وضلعه الجنوبي يحده إقليم الاحساء وضلعه الشرقي يحده شاطئ الخليج العربي¹.
تضم هذه الحدود مثلثاً رملياً تقل فيه الواحات الصالحة للزراعة وربما انحصرت في اراضي الكويت الشمالية . واما قسمها الجنوبي فبعض تربته رملية وبعضها طينية و علي العموم فان الكويت بريّة قاحلة².
يضاف ذلك الي شحه مواردها المائية فليس فيها عيون ولاينابيع وكل مياهها تنحصر في ابار يكون القسم الاكبر منها ملحاً أجاجاً .واما مياهها العذبة فقد لا تقي بحاجة السكان فضلاً عن ارواء الزراعة التي يحتاجها قاطنوا الكويت .
وإذا تجاوزنا هذين الموردين الهاميين للزراعة نجد انفسنا امام أمر ثالث لا يقل أهمية عما تقدم ان لم يزد عليه وهو المناخ شتاءً وصيفاً فالجو السائد في الكويت هو الميل الي البرودة في فصل الشتاء اذا هبت الرياح الشمالية حيث تبلغ درجة الحرارة 35 فهرانهيت و في فصل الصيف يكاد يكون الجو محرقاً حيث تشتد الحرارة في النهار حتي تبلغ الي درجة 104 فهرانهيت 0 وهذه حرارة لا تقاوم بخاصة للزراعة الفصلية اما زراعة الاشجار فليس فيها غير بعض النخيل والسدر وبعض الاشجار البرية³ ولا تكون قرية الجهراء استثناءً من الوضع الزراعي العام للكويت ،لأنها علي ما فيها من زراعة موسمية وبعض الاشجار لا تقي بحاجة الكويت .قبل اكتشاف النفط وبعده .

النتيجة مما تقدّم :

نريد ان نخلص الي القول من كل ما ذكرناه بأن الكويت تاكل من خارج حدودها فليس لها من الزراعة الأ زراعة لا تسمن و لا تغني من جوع بل لا تقي بحاجة قبيلة واحدة من قبائل الكويت . مما حملها علي الانعتاق من هذه الارض الصحراوية ذات الطبيعة البحر متوسطة . حيث يصيبها الصيف الطويل بشواظ من حره و تهب عليها الرياح الموسمية المشبعة بالرطوبة و العواصف الرملية فترتاد لها بلداناً غنية تتجرعها وتقوم بما تطلبه الكويت من الحاجات الاساسية الحياة و بالطبع ستبدأ با قرب نقطة تجاورها وتنتج اليها و ان اقرب جيرانها اليها هي المتاخمة لضلعها الشرقي و القائمة علي الشاطيء المقابل لشاطيء الكويت من الخليج . انها الجارة الاهواز او ايران... الجنوبية وسياتي في الحديث عنها بالتفصيل باذن الله تعالي ولم ينحصر هم الكويت في تجارتها با لقوت فقط بل اعتمدت اعتماداً كاد ان يكون كلياً في صادراتها علي منتجات الغوص و

1 23

2 17 1

3 17 16 1

استخراج اللؤلؤ من اعماق الخليج وهذا أيضاً يحملها العرض بضا عنها علي ارتياد شواطئ جيرانها باسطولها التجاري الرائع الذي بناه مبارك الكبير لها وصار يؤلف بالنسبة لها عصب الحياة.

الكويت التجارية:

لما كانت التجارة بالنسبة لبلد كالكويت مسألة حيوية الي آخر الحدود. ناسب ذلك ان توضع لها شرائط جدّ ملائمة بحيث تساعد علي ازدهارها وتحمل الاهلين علي الاعتماد عليها وامتنانها اتخاذها مهنة لعامة المواطنين وفعلاً حصلت هذه الغاية فليس بينهم من لم يمارسها الا القليل وراجت التجارة في الكويت لسهولة قوانينها كانخفاض الرسوم الجمركية بنسبه كبيرة جداً حتي أوشكت الكويت أن تكون ميناءً جراً وحريه الاستيراد فان أبواب الاستيراد مفتوحة للجميع¹ مضافاً الي موقع الكويت الجغرافي الذي يقربها من الهلال الخصيب ومن أكثر بلدانه خيرات، العراق واقليم الاهواز و بناءً علي ذلك فلا محيص حينئذ من وجود علاقات تجاريه تربط الكويت بجيرانه اذا الكويت كما تقدّم بلد صحراوي قاحل قبل النفط وبقاء شعبه محصوراً بين جدرانه الاربع موف علي تدميره من ثم احتاج الي هذه العلاقات حاجه حيويه ملحه بخاصه مع جارتيه العراق وايران وهما بلدان غنيان بالمنتجات الزراعيه وكان لا بد لتأمين هذه الصلات التجارية من وجود ملاحه رائده في مياه الخليج فكانت الكويت اسبق بلدان هذا الحوض الاستراتيجي الي بناء اسطول تجاري رائد كما سبقت الاشارة اليه، صاحب ذلك صناعه سفن رائده أيضاً أولتها الكويت اقصي اهتمامها لما يترتب علي ذلك من انتعاش... تجارته وتحكيم صلاته الوثقي مع جيرانه. وتعتبر علاقه الكويت التجاريه ذات شقين الاول: علاقه الاجنبيه كعلاقتها مع الهند وايران فلها باعتبار موقعها الجغرافي علي الخليج علاقه محكمه بايران ولكنها مقصوره علي الساحل الايراني من الخليج فلم تتوغل داخل العمق الايراني واعتقد ان ذلك يعود في الاعم الا غلب الي فاروق الجنس وما يلازمه من فاروق اللغه علي أنّ الاخيرة ظلت تطعم الكويت باعداد تسترعي الانتباه من المسلمين الايرانيين الذين يرتادون مائة من الخفض و الدعة بخاصة بعد اكتشاف النفط واحتياج الكويت الي اليد العاملة.

الثاني: العلاقه الاخويه، كعلاقتها بالعراق واقليم الاهواز أبان الحكم المرادوي. فانها تعتبر علاقه ببلد قريب بخاصه العراق فبالاضافه الي وحده الجنس هناك وحده النظام. لسيادة نظام الخلافة العثمانيه علي كل منها، فتكون العلاقه حنيئذٍ بينهما علاقه متميزه.

و لا تعتبر علاقتها باقليم الاهواز يومذاك من الشق الاول وان كانت من ناحيه النظام العام تعتبر كذلك ولكن تحكمت فيها اعتبارات أخري من حيث الجنس الواحد و الدم الواحد واللغه الواحد وهذه مجتمعه ومنفرده لعبت دورها في هذه العلاقه فصيرتها أكثر حميميّه من كل علاقه حتي من العراق نفسه. ويمكن أن تلتبس هذه العلاقه في محاور اربعة.

المحاور الأربعة:

المحور الاول:

القبائل العربية المهاجرة من والي الكويت أما الهجرة الي الكويت فتكون معدومة قيل اكتشاف النفط لضحاله الموارد الاقتصاديه فيه وكذلك الهجره منه تتم علي نطاق ضيق جداً لقله سكانه يومذاك الا ان هناك ظاهره من اتصال القبائل في هذه الرقعته المتصله بعضها ببعض تغني عن الهجره فانتت واجدً فروعاً كثيرة في هذه البلدان المتجاورة لأصول مقيمة هنا او هناك و ربما تبادلت الإقامة لانها دائماً تنتجع الغيث او العمل ان صح التعبير فابنما ناسبتها الإقامة اقامت والا فالرحيل لا بد منه تنتبع هذا الوضع المتأرجح بين الإقامة و للهجره علاقه تشدّ و تضعف كلما و انتهاء العلل و الاسباب.

المحور الثاني: اللغه الواحدة يتكلم هذان القطران لغة واحدة هي العربية وما انشق عنها من لهجة قاربت ان تكون واحدة بين الكويتين وسكان اقليم الاهواز المرادويه ولازم هذا التوحد نشوء ثقافة مشتركة بين البلدين نواخص منها الفولكور فقد كاد ان يتحد في البلدين من قبيل (الزار) او الهيوه باصطلاح العامة.

المحور الثالث:

التجارة فلها حصة الاسد في تقرب الشقة بين القطرين وعقد الصلاف المحكمة بينهما وللتجارة بين البلدين تاريخ طويل لامجال لاستعراضه هنا.

المحور الرابع:

وهود بين صرف الا انه احدث فجوة ليست بذات أهمية قياساً الي حسن العلاقات بينهما وهي واضحة في اختلاف المذهب وتلك ظاهره لم تؤثر سلباً علي العلاقات الودية وان لم تكن إيجابياتها بالشكل المطلوب. تتقلب العلاقه بين الكويت والاهواز المرادويه علي هذه المحاور الاربعه وكانها في بلد واحد لما تتمتع فيه الاهواز من موقع جغرافي ممتاز لا يقل عن موقع الكويت ان لم يزد عليه. مضافاً الي كثره خيراتها ووفره مياهها وغناها المتدفق والفائض عن حاجتها بالسلع الاساسية التي تحتاجها الكويت لحياة شعبها.

موقع الاهواز الجغرافي:

تختلف حدود عربستان ضيقاً واتساعاً بناءً علي التقسيم الاوراي من الفتره الواقعة تحديداً بين عام 1812 وهو عام تشييد بناء مدينه المحمرة الي عام 1928 عام زوال حكم ال مرداو من المنطقة لاضافة مقاطعات اليها بعد ختام الحكم العربي فيها ولم تكن من قبل داخله ضمن حدود المقاطعه. ولا نقصد بالاهواز مدينة الاهواز فحسب بل كل الاقليم الذي يسمي الان بمحافظة خوزستان(عربستان).

ويمكن ان نعتمد علي مصادر محابده لتحديد الجديد والموقع الذي تتمتع به الولاية والواقع أنها قبل عام 1928 لم تتعدّ مساحتها الستة عشر الف ميل مربع اي يمكن ضبطها بواحد واربعين الف ومأتي كيلومتر مربع. وهي اكبر من الكويت التي تبلغ حوالي خمسه عشر الف كيلومتر مضافاً الي المنطقة البالغة خمسة الاف وسبعمانه الف كيلومتر بين العراق والمملكة. ¹ ولكن بعض

المصادر تزعم ان الكويت اكبر من ذلك بكثير حتي حددتها بحوالي سبعين الف كيلومتر مربع وتكون بهذه المساحة اكبر من الاهواز وتتألف مقاطعه عربستان من مثلث ذي ثلاثة أضلاع ويقع بين الخليج العربي وسلسله جبال زاغرس وينتهي بالحدود الفاصله بين العراق و ايران وتقابل شاطئ الكويت من الجهة الشرقية حيث شواطئها المظلة علي الخليج .
يتكون هذا المثلث من سهل رسوبي تقترب جغرافياً من الوادي الخصيب الواقع بين النهرين كما يبتعد بطبيعته تكوينه عن الهضه الايرانيه المجاورة له .

ولا يستمر هذا السهل علي ويطره واحده بل سرعان ما يقسمه بنصفيين سلسله من النتوءات المتفاوتة علواً و انخفاضاً وهذه النتوءات تخترق مدينه الاهواز مركز الاقليم وتتحد الي الغرب عابرة كارون مخلفة فيه آثار أقدامها في النهر نفسه حيث ترتفع تضاريس تتكسر أمواجه علي متونها مما يحمل المشاهد علي اعتقاده بأنها آثار لسد قديم وهي مقولة شائعة علي ألسن العامة، ولكن التحقيق يدل علي أنها امتداد لنتوءات الاهواز ، التي تستمر منحدره مع شمس الاصيل حتي تتصل بجبال كردستان وحينئذ ترتفع هاماتها هناك فتتأطح السحاب .

أما جبالنا في الاهواز فمتطا منه حتي اطلق عليها محمق من آل الزبير فسمها قعيعات من ثم عبرنا عنها بنتوءات لتلائم حالها .
يعلو هذا السهل في المحمرة وما جاورها من الاراضي عن سطح البحر حوالي ستين متراً ولكنه يبدأ بالارتفاع حتي يصل اعلي مستواه 365 متراً عندما تلتحم حدوده بمقاطعه لرستان . و بناءاً علي هذا العلو والانخفاض يختلف المناخ بدرجة او باخري هنا او هناك ولكن الحرارة تبقى عند معدلها وان تفاوتت نسب الرطوبة في الجبل عنها في السهل الساحلي .

الهوية الواحدة :

يعثر الباحث علي اختلاف جوهري بين شعوب كثيرة متجاوره وان عزيت الي عنصر واحد او نطقت لغه واحده ولكن هذا الاختلاف بين الشعب العربي القاطن في ايران الجنوبيه والشعب العربي القاطن في الكويت يتلاشي الي درجة الصفو والسبب يعود الي كونهما شعباً واحداً جنساً ولغاً ، وكفي بهما موحدين وقد قربت بينهما وشائج الدم والقربي ولغه القران الفصحي .
حتي صهرنا هما في هويه واحده وصفات واحده مشتركه .

الامتداد الاول :

أول ما يطالعك من تاريخ الكويت وقيل نشانتها وجود قبيله عربيه ، ذات عراقه وأصاله هي التي وضعت اساس مدينه الكويت ، وهم بنو خالد الذين كانوا يقطنون في الاحساء في بدء أمرهم ولكنهم اضطروا الي مغادرتها بعد هزيمة فرعه الكعب(آل عويمر) من الوهابيين بعد أن ناونوا حركتهم . فهزمهم رجالها وتفككت قبيلتهم وتلاحقت عليهم المحن والازراء بخاصة بعد ثوره أهل الاحساء عليهم مما اضطروا الي الانكماش في المنطقة الواقعة بين كاظمة شمالاً و الاحساء جنوباً ، وكانوا يسيطرون عليها سيطرة تامة وغادرت الاحساء معهم أسرة آل الصباح بصحبه بني عمومتهم آل خليفه واستقروا في منطقته (قطر) في ضيافته أمرائها آل مسلم ولكن خلافاً نشب بينهم فحمل آل الصباح وآل خليفه علي الهجرة من المنطقه والنزوح الي الاراضي العراقيه شرقي الخليج ولكن الحكومه التركييه يومذاك أمرتهم بالنزوح ، لاسباب مجهوله فاقبلوا الي «الصبية» التي تبعد من الكويت حوالي 24 كيلومتراً ولكنهم لم يستطيعوا البقاء فهاجروا هجرتهم الاخيرة الي «كويت بني عويمر» وهم الفرع الكبير من الخوالد .
ولعل السبب الذي حبيب اليهم المكث هناك هو مالمسوه من بني خالد من الحمايه بدءاً من الهجره الاولي ومروراً بالنتقل في البلاد وختاماً بحسن الضيافه في كويت بني عويمر¹

ومن الكويت هاجر بطن من بني خالد الي اقليم الاهواز المتاخمة لها وانتشرت في جل الاصقاع الهوازية وتقطن الغالبية العظمي من بني خالد في مدينه «عبادان» وتتمركز فروع منهم في المناطق الواقعة بين «خلف آباد» وميناء «معشور»²
وتوجد نسبه ملفته للنظر منهم تقطن الاهواز ومنها في رستاق زراعي يبعد حوالي ثلاثين كيلومتراً ويدعي (الدرختي) ويقع الي الجنوب الغربي من المدينه .

وبالطبع لا بد من ان تترك آيه هجره مساحب أذبال لها هنا وهناك من التاثر والتأثير .
ومما لا ريب فيه أن كثيراً من العادات والاعراف والتقاليد بقيت فاعله في البلدين جراء هجره بني خالد ولاتزال ملامح تعبر عن نفسها بين الفتيه والفتيه في البلدين وتطبع حياه المنطقتين بطابعها . ولا يعدم الباحث وهو يجوب المعالم في الارض وانسانها العثور علي كثير منها يدل دلالة جازمه علي وحده هذين الشعبين وان باعدت بينهما حدود طبيعيه وأخري مصطنعه . وأظهر هذه المعالم تلك المشاعر الجياشه التي يحملها الانسان هنا اي في جنوب ايران العربي للكويت وشعبها حتي اعتبرت الحرم الأيمن له . سواء في ذلك انسان اليوم او انسان الحقبة الكعبية المرادويه .

و لسنا بحاجة ماسه الي تأليف الحجج لاثبات ذلك فقد كان البيتان ينتميان الي جذم واحد وينحدران من سلاله واحده . لما نزل معتمد الدولة حاكم فارس في البلاد عام 1840 لتاديب الشيخ تامر لاشياء نقمها عليه هرب هذا الشيخ الي الكويت مع صعوبه ذلك لاقتضائه ركوب البحر . علي حين لو أراد العبور الي العراق لما كلفه ذلك اكثر من اجتياز حدود اعتباره تربيته لا حقيقه لها إطلاقاً ولكنه فضل الكويت لقربه من نفسه وبعد العراق لاستتحال حكم الاتراك فيه ولأنهم يولون العراق من اهتمامهم مالا يولون الكويت مثله ولما ثارت قبيله النصار من بني كعب في القصبه علي الحاج جابر مما اضطره لاعلان الحرب عليها فرأى الشيخ عبدالله أن الفرصة التي كان ينتظرها قد جائت فأمر بتجهيز عشرين سفينة شراعيه ملئت بالذخيرة قسم منها عن طريق «نهر الحفار» والقسم الاخر عن طريق الفاو وكتب كتاباً الي الشيخ جراح (وكان يومئذ قد قدم الي الفاو) يامره بالاشتراك مع تلك القوات التي ارسلها بالقتال لمناصرة الحاج جابر .

ولكن قبيل وصول تلك النجده الكويتيه الي اطراف المحمره كان الحاج جابر قد تغلب علي خصومه ولكن مع ذلك فلم يشأ الحاج جابر ان ينكر جهوداً الشيخ عبدالله الصباح فكتب اليه كتاباً و ارسله بواسطه أخيه جراح يشكره فيه علي حميته التي بذلها و كافاه علي ذلك العمل بسبعين كارة من التمر معاشاً سنوياً¹ .

وليس بعيداً ان تكون مشاعر الرحم والاخوه حملت الشيخ عبدالله علي انتهاز الفرصه لمناصره الحاج جابر وكان الشيخ مزعل وبناءاً علي ما كان يتخلى به من شفافية في الرويه وتقويم واقعي للأمر ونظر متبصر للعواقب و الاحداث ،أي ان يضع قدمه في اي زورق أجنبي لعلمه بما يشكله عليه من خطر داهم وربما استشعر بما يحيط به من فخاخ العدو ومن ثم تجنب الركوب في الزوارق الاجنبية ليسلم الوقوع في الفخ الذي وقع فيه خلفه خزعل من بعده وكان يرباط علي مدخل قصره من جهه ساحل شط العرب قارب نجاري ، يحجز بما يحتاجه لرحله طويله ومستعد للاقلاع به ساعه يشاء الي نقطه آمنه² ..

وما تلك النقطة الامنه الا الكويت لان هذه الاسره كانت تعد الكويت ملجأ لها إن ألمت بها نوائب الدهر و تعتبره بيتها الثاني وعلي اساس من هذا الشعور أقام في الكويت بعد ذهاب سلطانهم فرع من فروعهم وما زال مقيماً فيها لحد الان .والروابط بين الحكام والشعبين لا تقتصر علي الجوار وسهولة التنقل وحرية التجاره بفرعيها الصادر والوارد بل هناك روابط اعماق مما يظهر لنا تضرب جذورها في مجتمع القبيله الواحده .حيث التربه خصبه جداً يوماً ذلك لانبات مثل هذه الروابط .درج المجتمع في الكويت وبلاد الاهواز علي اعتبار البيتين آل الصباح وآل مرداو من أرومه واحده وينتسبون الي قبيله واحده وهي قبيله العتوب وهؤلاء يتواجدون بكثره في «الاحساء» و «الكويت» و «المحمره» و يتمركزون بكثره وقوه في البحرين ولهم بالعائله الحاكمه صله النسب³ ويمكن ان تدعي هذه القبيله بالعوائل الثلاث .آل الصباح وآل مرداو وآل خليفه ويطلق العتوب علي انفسهم اسماً آخر وهو بنوعيه وليس بعيداً ان يكونوا قد عرفوا بعد انضمامهم الي «تجمع المحيسن» باسم «آل عتب»⁴ فقد كان لهم وجود متميز في المحمره ولكنهم انصرفوا في هذه المنطقه الي امتهان الحروف اليدويه المحترقه من قبيل الحياكه و زراعه البقول و ما ناسبها فسائت سمعتهم بين السكان مما جعلهم في السلم الادني من حيث المكانه الاجتماعيه .وهذا امر مقبول في المجتمع القبلي ،مرفوض من الانسانيه بأجمعها ومهما قلنا عن هذه القبيله ، فانها الاصل الذي انحدر منه البيوت الثلاثه الحاكمه في الاهواز والكويت والبحرين .وكان هذا واضحاً لدي الجميع حتي أن الرسائل المتبادله بين البيتين في الامور المهمه الداخليه والخارجيه كانت تاخذ الطابع العاطفي شأن الرسائل التي تدور بين الارحام فهذا عبدالله السالم يكتب الي الشيخ خزعل رساله تتم عن عاطفه ولد بار تجاه أبيه يقول فيها :

حضره حميد المكارم والشيم عالي الهمم صاحب الدوله سيدي الوالد السردار أقدس دام عزه ومجده :

بعد تقبيل اياديكم الشريفة ويقول فيها الوالد الشيخ سالم توفي الي رحمه الله ...

ولا شك ان فقده شديد علي فخامتكم أزيد مما هو علينا ... ولكن انشاء الله بسلامه وجودكم ما نفقده مازال حلول انظارك علينا نحن في خير وسعاده الله بديم لنا حياتك ويوفقنا لكسب رضاك ويختمها بقوله : وكافه الاخوان يقبلون ايديك والله يحفظك وتاتي الشيخ خزعل رساله من الشيخ احمد الجابر وفيها : حضره حميد السجاييا والشيم عالي الهمم الاجل الافخم العم سردار واقدس الشيخ خزعل ... ويقول فيها ونحن مافقدنا احداو دولتكم في الوجود ونسئل الله ان يديمكم للجميع ويوفقنا لرضا الباري جلّ شأنه والي حسن خدمتكم .ويكتب الشيخ خزعل رساله الي الشيخ احمد الجابر ويركز فيها علي أصره الرحم بينهما بقوله : ولدنا العزيز شيخ احمد الجابر الصباح .

وسافر الشيخ خزعل الكويت مسرعاً بعد تلقية نبأ وفاة الشيخ سالم لمشاطره آل الصباح لهذا المصاب ولتسليتهم عن هذا الرزء الاليم ويمكث فيها الي نموده الشيخ احمد الجابر اليها وحضر حفله استلامه زمام الحكم¹ .

فهذه العاطفه التي تعبر عنها كلمه عم وولد ووالد وماشابه ذلك ليست عفويه او قيلت علي نحو المجامله و الا لتبولدت مع غير هذين البيتين و لكنها أصرة الرحم ،فهي وان كانت قبليه قيل ان تكون اسريه الا أنها قربت بينهما لوجود ضرورات تحتمها . نحن ان أمام حقيقه لا يمكن تجاهلها وهي وحده الشعبيين والبيتين الحاكمين في الكويت و عربستان كما كان يسمي قديماً .

و لو لا انضمام الشعب العربي في الاهواز الي الامه الايرانيه لما كان فرق يذكر بين الكويت و الاهواز . فهذا الانضمام قضي علي اكثر الملامح الموحده وان لم يستطع قلعه من الجذور فقد بقيت جذورها متمسكه ثابتة في التربه اقوي من احداث الزمان لانها نابعه من حقيقه الشعب وهي جزء من مجموع هويته وركن من اركان ماهيته ونحن الان نعرض لبعضها بنبيذ مفيد انشاءالله تعالى.

العلامات الخلقية الواحدة :

للعرب من حيث الجنس أيما يكونون وحينما يحلون من الارض علامات في الخلق من حيث ملامح الشكل واللون واحده وان اختلفت من بلد الي بلد شدة وضعفاً ومن ثم نلاحظ أنّ العنصر العربي الذي خلص من شوب الامتزاج بالعنصر الاجنبي يكاد يكون واحداً بتمام معني الكلمه في الكويت و اقليم الاهواز وذلك من حيث اللون والملامح الجسميه وشكل الجمجمة والقذّ ويتضح ذلك اكثر بين الافراد الذين يعيشون في مناخ متشابه كابناء القصبه والقيان والقفاص والمنبوحى وماتاخما من البلاد .فهؤلاء يتفقون مع الكويتيين في جلّ الصفات الخلقية بشرط خلوص دماهم من الامتزاج بالدماء الاجنبيه .

اما ادماء الامتزاج فاكثر ماتكون بينهم وبين العنصر الحامي وحينئذ يبغي الشبه واحداً ايضاً لان هذا العنصر امتدّ علي طول جغرافيه البلدين وعرضها فطعم السكان بسحنات خاصه من جنوب العراق الي جنوب ايران الي الكويت ومناطق الخليج الاخرى .فلا فرق جوهري بين انسان ونظيره من حيث التشابه بامتزاج العنصر الحامي والاخر العربي .أما الاجيال الجديده في الكويت والاهواز فانها تنزع الي دماء كثيره وعناصر شتى اخص منها العنصر الفارسي الذي امتزج مع العنصر العربي فكون هويه خاصه في جنوب ايران وهذا الامتزاج وان لم يكن علي نطاق واسع الا انه اصبح ظاهره ملحوظه وربما التبس عليك الامر في الاطفال المركبين من العنصرين لنطقهم بالفارسيه وتغير سحناتهم الي مايشبه السحنات الايرانيه الخالصه والامر لا يختلف في المركبين من الدمين في الكويت لولا نطق اولئك بالعربيه .وعلي هذا الاساس حلت الفواصل بين الشعبين محل الأواصر .ومع كل هذه الفوارق فالشعوب المسلمه ابناء أمه واحده هي الاسلاميه تستوي في ذلك جميع عناصرهم .ومهما كانت الحال فاننا حين

2 « 2 398

3 2 751

4 235

1 4 325 323 331

نتجاوز هذه الاستثناءات عاثرون علي شعب واحد حجز بينه البحر فننت المنطقة وقربت أصره الرحم فاتحد شكلا ومحتوي او صورةً و هيو لا .

الأداب : و تشمل اللغة و ادابها المكتوبة والفولكلور وما تحتويه من صيغ مشتركة بين الشعبين في الاهواز و الكويت مستكنة في الضمير ومفروسة في الذات و مركزه في الوجدان العام ونبدء .

أولاً باللغة العربية :الفصحى فهي الرباط الوثيق الذي تضائلت عنده الروابط واختفت العوائق وانكدت الحدود وزالت السدود وهي الوطن الواسع الذي يضم في احضانه شعوب الامتين الاسلاميه والعربيه فلا غروا ان يلتقي شعبا الكويت و الاهواز علي مائده اللغة العربية لغه القران والاسلام والحضاره الاسلاميه منذو الفجر الاول وحتى يوم الناس هذا .لكن هذا يفردهما بمزبه تزيد علي الرباطه بين كل منهما و بين الشعب السوري او العراقي او المصري واللبناني و هلمّ جرأ . من ثم يمكن تشبيه اللغة العربية الفصحى بوطن واسع كبير ذي أقاليم وما اقاليمه الا اللهجات ويكون انفصالها عن الوطن بقدر اتصالها به ومن هذه اللهجات اللهجه الكويتيه واللهجه الاهوازيه .

اللهجه العربية الهوازيه :

لقد كانت لهجه الاقليم الاهوازي المتاخم لاقليم العراق مقاربه الي حد كبير للهجه العراقيه بخاصه الجنوب منه ولكنها في الآونة الاخيره بدأت تاخذ لها مساراً آخرأ يبعدها عن العراقيه مسافات شاسعه ويدينها من اللهجه الكويتيه واعتقد ان لذلك اسباباً ثلاثه .

السبب الأول: الهجره العماليه التي انطلقت من اقليم الاهواز ،وأمت منطقه الكويت فما برحت أن عادت تحمله بتعابير كويتيه وصيغ ومفردات كانوا يتحاورون بها في الكويت حتي تمكنت منهم فعسر عليهم التخلص من سلطانها حتي بعد ان عادوا الي بلادهم ، بخاصه اولئك الذين قضوا اعمارهم جيئة و ذهوباً بين الكويت وبلاد عربستان أضف الي ذلك أن التقليد حتم عليهم ان يتشبهوا بالكويتيين في الكلام كتشبههم بهم في طرز المعيشه باعتبارهم المثل الاعلي عندهم في القدرات الماديه وبقدر قريهم بالمطامح من الكويت قريهم من لهجتها وبعدهم عن اللهجه العراقيه .

السبب الثاني: وسائل الاعلام من مرئيّه ومسموعه فقد استحوذت علي الباب السوا الاعظم هنا وأثرت أثراً ملموساً من حيث التعبير والسلوك والحركات وطرز المعيشه وكانت السباده قبل ذلك لوسائل الاعلام العراقيه ،ولكنها اليوم في وضعها الراهن وظرفها المأساوي فقدت تلك القدره القديمه وحلت محلها قدره التأثير الخليجيه وأخصها الكويت .

السبب الثالث: الحرب العراقيه – الايرانية التي شكلت عاملاً نفسانياً مهما في صرف المشاعر الولائيه عن العراق وحلول النفره منه محلها .

الفولكلور او الفنون الشعبيه :

تجد وانت تطوف في مدن اقليم الاهواز من اقصي الشمال الي اقصي الجنوب والشرق والغرب فنوناً شعبية اوشكت أن تشكل رقعه واحده من الاهواز الي الكويت وذلك قبل أن تغزو المنطقه أنماط الحياه الغربيه كبنا «البيوت» و «زخرفة الأبواب» و «الصناديق» و «السدو» حيث ينسج البدو البسط والمفارش والزواتي والزرايبي والمقاعد و «نسيج الخوص» من قبيل البلول والمكائل والعلاليق والأطباق والجلل وعمل الاسره والأقفاص والمقاعد من جريد النخل كما يظهر ذلك جلياً في الثياب بخاصه العقال والقتره والدشداشه والبشت وما يجلي به من القصب وثياب المرأه من «العيائنه» و «البوشيه» و «الشنبله» و الثوب المسمي بـ «الهاشمي» حيث يترك خلواً من التطريز او بطرز بالزري الذي ترتديه غالبية النساء قبل أن تحتل المنطقه الازبياء الغربيه .

وكذلك يظهر توحد الشعبين في أواني القهوه من الدلال والفتاجين والهوان والمدفاق والمحماس والمقلي والقمم وما يتبع ذلك من اللواحق .ولنا آله واحده للبخور ونطلق عليها المبخره وتكون علي شكلين ما يختص بعود المجرم وما يختص بالجاوي ولكل واحده منهما صفات مميزه تطابق ماهيه البخور وكذلك مراش العطور ومياه الورد وعلب البخور ايضاً أما آلات الصيد فتكاد تكون واحده هنا وهناك مثلاً يتحد الفخ في شكله وطريقه صيده الذي ينصب للفقور عندنا وعند الكويتيين كما تتحد في طريقه التصغير اي تعليم الطيور الجارحة و الصيد لها بما لا يدع مجالاً للشك أنها مسئلة واحده عند الشعبين .أما آلات صيد السمك فباعتبار الطبيعه الواحده لحوض الخليج العربي،تكاد يكون عند اقطاره واحده الا في بعض التفاصيل من قبيل «الشص» و «السليه» و «الكرگور» و شباك الصيد الاخري وتتحد ايضاً في وسائل النقل البحريه سفن و مهابل وابوام و وسائل دفعها وتحريكها من المردي والغرافه والمجداف وهكذا دواليك ويتجلي التحام الشعبين اكثر واكثر في حفلات الزار المعبر عنها احياناً باليهوه وتصحيف الهوي ولكي نطلع علي حقيقه الحال لا بد من المامه قصيره ونرجو أن لا تكون قاصره انشاء الله بموضوع الزار .

... الزار ... :

الانسان وهذه الريح القادمه من أفريقيا ذات أثر فعال اذا حلت في الانسان وهي غير قابله للشفاء علي يد الطبيب الابعقد مثل هذه الحفلات التي تستخرج الريح من المصاب بها لأن العلاج الخصر فيها ،فلا خلاص من هذه الريح مالم ينزل المعالج علي رغبتها وهواها .

والاعتقاد بالريح قديم جداً بدأ يساورا الانسان منذو آلاف السنين وأول نص عثرنا عليه يذكر هذه الريح ما جاء في الاصحاح الثامن عشر من الثوره صموئيل الاول عن شاوول الملك ويسميه العرب طالوت كما يلي :وكان في الغد أن الروح الردي من قبل الله اقتحم شاوول وجن في وسط البيت 000 الخ وجاء في شرح ذلك عن ابن العبري: وكان شاوول قد اصابه ريح سوء فقيل له : ليكن عندك انسان جيد الضرب بالصبيخ ذي الاوتار ليذهبك عمابك ووصف له داود أنه ماهر في ذلك¹ 00

اشتقاق لفظ الزار:

ليس للكلمه أصل اشتقت منه في اللغة العربية فهي دخيله عليها ويقال إنها ولجتها من اللغة الامهريه الحبشيه وهي تعني فيها الجني والجني قديم في اللغة العربية ،وهو بهذا المعني سابق دخول لفظ الزار فيها بل اعتقد العرب بإمكان دخول الجني في الانسان كما

تدخل الكهرباء في الاجسام المعدنية 00 ليس هذا فقط بل اعتقدوا بإمكان قيام علاقه بين الاثنين الي حد التناكح والتناسل 0و علي اساس من ذلك نسجت الكثير من الحكايات والافاصيص بين طويله وقصيره تؤدي جميعها الي هذه المعني من وجود العلاقات المختلفه مع الجنني حتي استقر في وجدان العامه أنه بالإمكان ان يختار الانسان فتاه احلامه من الجن و بالعكس . حتي قيل ان عدنان بن معد كان له ابن يقال له :الضحاك وكانت أمه من الجن وأنه لحق بأخواله فصار شيطاناً وهو الذي يسمى (المذهب) بضم الميم وسكون الذال وفتح الهاء يعرض للناس في إنطماره² ويعبر عنه «بشيطان الوضوء» وكان الوزير محمد بن احمد بن نصر الجيهاني مصاباً به ويحكي عنه أنه مرّ يوماً بنحاس يعالج دابّه فتأفّف وأبرز يده من كفه وعلقها الي ان نزل وصب عليها فمأق من الماء تعذراً مما فعله النحاس كأنه هو الذي تولي ذلك ولم يكن يأذن في امساك السنايبر في دوره فكان الفأر يتعاتب فيها يقول ابو الطيب الطاهري :

رأيت الوزير علي بابيه
يري الفأر أنظف شئ يدب
يبيت خصيماً بها معجباً
وان سغبت فهو في حجرها
فلم صار يستقدر المسلمين
من المذهب الشائع المنتشر
علي ثوبه ويعاف البشر
ويضحى عليها شديد الخدر
يفت لها يابسات الكسر
ويألف ما هو عين القدر¹

وكانت الجن كما يزعمون يستطير الناس اي تخضعهم كما خطفت عمرو بن أخت جذيمه وصار سبياً للمثل الشايح: شبّ عمرو علي الطوق. والادب العربي شعراً ونثراً كالتاريخ العربي زاخر بحكايا الجن وقضاياهم ومالهم وما عليهم ولكن لم نعثر علي الزار ولواحقه فيما خلي من علم العرب وأيامهم قبل الاسلام وبعده فهو وافدمن الجيران مافي ذلك ريب وقد أوقفنك علي اقدم نضّ يذكر الزار في الثوراه ولكن لم يسمه بل اطلق عليه «الروح الخبيث» و يمكن ان نستدل عليه بلوازمه كما ذكر ذلك ابن العبري .. أما الاسم فلاوجود له لا في العبريه ولاالعبريه أما وجود مسمّاه فهو محقق ما في ذلك ريب فهناك اعتقاد سائد في كثير من البلاد العبريه بل والانسانيه أيضاً من حلول الجن في بعض أفراد الانسان .. كما يوجد أثر لذلك في بعض البلاد الاسلاميه الاسيويه والافريقيه منها ولكن باسماء مختلفه فيسمي في نيجيريا حوري و في الملايو «أموك» وفي الحبشه «زار» ...

وأحسب الكلمه ليست من أصول سامية بل أخذت من الوثنيين «الكوشيين» وتعني «آله السماء» وتتطلق عندهم جار وفي لغات إفريقيه أخرى تتطلق «دار» او «دارو» وهو أحد الهه الشرك التي كانت الحبشه تدين له قبل اعتناقها المسيحيه و هويه هذا الإله عندهم ، هي : وجود خارق تفوق قدراته القدرات البشريه وأنه متميز عن البشر .

والذي عليه العلماء اليوم: أن اللفظه وبحث عالم الاسلام عن طريق الحبشه المسيحيه وفي الحبشه يعتقد المواطنون مسلمين ومسيحيين أنّ منطق الزار ومحل تواجده هي : مياه الأنهار الجاريه وبحصرهم له في هذه الأمكنه يكونون قد أخرجوا اليابسه من دائره نفوذهم فنزلوا بمستواه الي مكانه واطنه وحينئذ صار من الممكن السيطرة عليه واخراجه من جسم الانسان حين يتقمصه وذلك بواسطه التعاويذ والاحراز والادعيه والطقوس المحترمه عند الفريقين وفي عمليه الطرد هذه يطلب «الراقي» ويسمي العارف او الشيخ ان كان ذكراً او العارفة والشيخه ان كانت انثي من الزار أن يعلن اسمه قبل كل شئ لتتم السيطرة عليه من خلال ذلك بحجب قدرته الخارقه بما يتلي عليه الطقوس الخاصه 00 وفي الحبشه يتم طرد والزار خلال طقوس خاصه أخرى وذلك بحمل الروح الشريره علي الولوج في مدن المصاب باستدارجها ويشرع المصاب بالبناء بما يطلب منه وتفسر كل كلمه او حركه تصدر منه علي أنها افصاح عن أسرار هذه الروح الشريره و يقال إنّ دخول الزار أرض الكنانة كان متأخراً فلم تعرفه مصر قبل القرن التاسع عشر و كان قد وفد اليها من أرض الحبشه و اشتقت الكلمه من اللغه الامريه كما تقدم و تشير القرائن أن مهده الاول هو شمال الحبشه ولكننا نجد رحماً ماسه بين هذه الكلمه «الزار» ومعناها في العبريه وهو الشوم فالجنني شوم بيتلي به الانسان و لعل المنشأ واحد ولكن الكلمه حين اضطربت في الافواه من شعب الي شعب اكتسبت معاني ذات جذر واحد وان تفاوتت في الدلاله.

طرد الزار :

ويتم طرد الزار من بدن المصاب بواسطه إمراه تدعي الشيخه او العارفة ويشترط لذلك قبل شروعا في الطقوس من معرفه النشأه الاولي للروح الشريره من اين تبدأ ويختلف سلوك العارفة من روح الي روح لاختلاف المنشأ. فالجن القادمون من القاهره ومصر العليا والسودان موالفون معروفون فينبغي علي العارفة مضافاً الي تلاوه الأوراد وعمل الطقوس الخاصه أن ترتدي ثياباً معينه تناسب هؤلاء الجن القرباء .و تصاحب الأوراد المتلوه الضرب علي الطبول او الرقص وذبح الدجاج كولاتم تقدم فديه للروح الشريره وربما استمرت هذه الطقوس قائمه عده ليال .

و الحجاز اليوم لايجلو من وجود الزار فيه والاعتقاد السائد هناك انه وفد الي البلاد مع أرتال العبيد الاحباش الذين استقدموا لأغراض الخدمه اليه وله خصائص الزار المصري واكثر شيوعه بين طبقه النساء وفي بلاد عماد يوجد الزار ايضاً شأن غيره من اقطار الخليج ويطلق علي الزار هناك لفظ «الزيران» ولعله جمع الزار عندهم مثل نار ونيران وتستعمل الكلمه في اقليم الاهواز خاصه المحمره منها

النتيجه :

لقد اندثر اكثر هذه الطقوس لأنها خرافه ولكنها كما هي الحال في جميع الخرافات تتحول الي مفرده فولكلوريه وبالفعل جري ذلك للزار حين استحال الي حفلات طرب تقيمها أناس معدودون في الكويت وفي الاهواز ولهم طرق خاصه وآلات طرب واحده تستوي هنا وهناك ولهذا السبب رأينا الافاضه في بحث الزار لأنه لايزال يقام في البلاد المذكوره بشكل او بأخر بخصوصه في حفلات الافراح مما يدل علي أن العرب تنتق عاداتهم وتتحد لوحده منشئهم اينما كانوا وحيثما حلوا.

عامر عبدالكريم الاهوازي
كاتب من الاهواز

2 6 1954

1 17 157